



تأثر الأدب العربي الحديث بألف ليلة وليلة

(دراسة أدب الغير "فارسي" بغرض التعليم و التعلم)

إعداد:

■ الدكتور عدلي بن يعقوب

الأستاذ المساعد

قسم اللغة العربية

كلية علوم الوحي والتراث الإسلامي

الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

■ موسى سعيد طه إدريس (G1116037)

طالب الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

كلية علوم الوحي والتراث الإسلامي-الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

سعى الباحثان من خلال هذا البحث إلى إظهار مدى تأثير الأدب العربي الحديث بحكايات ألف ليلة وليلة، التي تأثرت بالأدب الفارسي القديم. وقد اتبعا المنهج الاستقرائي، فحاولا عقد مقارنة بين أشعار حكايات ألف ليلة وليلة وأشعار بعض الشعراء العرب المحدثين، مطبقين في ذلك المقارنة معايير الأدب المقارن المتعارف عليها، والتي تتمثل في إبراز الآتي:

- الباث أو المؤثر ((المنتج الأسبق)).
- المتقبل أو المتأثر ((المنتج اللاحق)).
- الوسطاء.

وقد توصل البحث إلى أن الشعراء العرب المحدثين قد تأثروا بحكايات ألف ليلة وليلة من حيث معاني القصائد الشعرية التي تخللت تلك الحكايات. وقد اتضح للباحثين أن عقد المقارنات بين الآداب الأجنبية والأدب العربي يقود إلى تسهيل عملية التعليم والتعلم، والفهم العميق للآداب العربية والأجنبية.

تأثر الأدب العربي الحديث

بألف ليلة وليلة

ما هي ألف ليلة وليلة؟

هي قصص شعبية متنوعة، عددها حوالي 200 قصة تتخللها نحو 1420 مقطوعة شعرية. وتعرف عند الأوربيين بالليالي العربية "Arabian Night". ألفت القصص على مراحل، وأصلها هندي وفارسي، ولكن أضيف إليها على مرّ الزمان من قصص العرب وأخبارهم حتى عربّت. إنها عالم أسطوري ساحر مملوء بالحكايات الجميلة والحوارات العجيبة، والقصص الممتعة، والمغامرات المثيرة. تحتوي على شخصيات أدبية مشهورة مثل: شهريار الملك وزوجته شهرزاد، وعلاء الدين، وعلى بابا والأربعين حرامي، ومعروف الإسكافي، والسندباد البحري، والشاطر حسن.

أشار المؤرخ على بك الحسين المسعودي، المتوفى في عام "943م"، في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، الى كتاب "هزار أفسانة"، وهذا العنوان باللغة الفارسية، ويعني ألف خرافة، وأطلق عليه فيما بعد ألف ليلة وليلة. ويرجع كتابة هذه القصص بشكلها الحالي إلى عام 1500م¹. هذا الإنجاز الأدبي الضخم، قد ألهم الفنانين، فظهرت على أثره أعمال مسرحية وروائية وموسيقية. وقدره الأوربيون، فترجموه، وقلدوه. وأشهر ترجمة كانت الى الفرنسية، قام بها المستشرق الفرنسي انطوان جالان في عام 1704م².

¹<http://ar.wikipedia.org>

²د. داود سلوم، 1998م، من آفاق الأدب المقارن، (المفرق، الأران) ص125.

حكايات ألف ليلة ووليلة:

كان ياماكان... في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ملك من ملوك (بني ساسان) ببلاد الهند والصين. اسم الملك (شهريار)، كان عادل ولكنه تغير وصار عنيفا ظالماً. والسبب خيانة زوجته له مع خادمه. وبعد أن شاهد هذه الخيانة بعينه، قتلها. وصار لا يثق في أي امرأة. وقتلها لم يشفى غليله من النساء. وزيادة في الانتقام من النساء، صار يتزوج امرأة كل ليلة، ثم يأمر سيفه بقتلها قبل أن يلوح الصباح! ولذلك هرب الناس بيناتهم الى خارج مملكته. ولم يبق في المدينة بنت واحدة تصلح للزواج سوى بنت وزيره (شهرزاد). أمر الملك وزيره أن يأتيه بزوجة جديدة، وهدده بقطع رقبته إذا لم يأتيه بها. بحث الوزير في المدينة فلم يجد زوجة للملك، فاحترار الوزير وتملكه الحزن. سألت شهرزاد أباه: مالي أراك يا أبي حزينا ومهموماً؟ فحكى الوزير لابنته قصة الملك. فقالت شهرزاد : أرجوك يا أبي زوجني هذا الملك. فزعر الوزير وقال لابنته: تتزوجين من طاغية، مصاص دماء. حتى يتزوجك في المساء، ويقطع رأسك قبل طلوع الفجر؟! إن هذا لن يحدث ولن يكون. فقالت شهرزاد: أرجوك يا ابي نفذ طليبي، لأنني أريد أن أنقذ بنات جنسي من الموت. وبعد اصرار شديد من شهرزاد، وافق أبوها على زواجها من الملك. قالت شهرزاد لأختها دنيازاد (أو دينارزاد)، عندما يتم زفافي سوف أرسل من يحضرك ، فإذا دخلت على فقولي: يا أختي أحك لنا قصة. وعندما زفت شهرزاد الى قصر الملك، طلبت منه رؤية أختها الصغيرة لوداعها قبل أن تموت. وعندما حضرت أختها، طلبت من شهرزاد أن تحكي لها قصة. وافق الملك على ذلك، وصار ينصت الى شهرزاد بشقف، وهي تحكي قصة جميلة. وعندما كاد أن يلوح الصباح... سكتت شهرزاد عن الحديث، قبل ان تكمل القصة. وهكذا لم يقتلها الملك لكي يسمع بقية القصة في الليلة التالية. واستمرت شهرزاد في خطتها تلك، الى أن صار عدد الليالي

ألف ليلة وليلة. وفي النهاية أعجب الملك شهريار بذكاء زوجته شهرزاد وعفى عنها، وأقيمت الأفراح في المدينة احتفالاً بذلك العفو وعاشا سعيدين³.

تأثير ألف ليلة وليلة في أدباء العرب في العصر الحديث:

معظم الأدباء العرب في النصف الأخير من القرن الماضي، قد وقفوا كثيرا أمام ألف ليلة وليلة واستلهموها في أعمالهم المختلفة. وقد ظهر هذا التأثير بوضوح في مسرحية الملك هو الملك للكاتب سعد الله ونوس. كما ظهر هذا التأثير في مسرحية "شهرزاد"، للكاتب الكبير توفيق الحكيم. وأيضا ظهر هذا التأثير في مسرحية "شهريار" للأديب عزيز أباظة. وكذلك ظهر هذا التأثير في مسرحية "سر شهرزاد" للكاتب على أحمد باكثير. ونلمح هذا التأثير بجلاء في مسرحية "حلاق بغداد، للأديب الفريد فرج⁴. وسوف نقف عند تأثير ألف ليلة وليلة في أشعار الأديب عبد الرحمن مجيد الربيعي من حيث المعنى.

من هو عبد الرحمن مجيد الربيعي؟

هو روائي وقصصي عراقي، وله مجموعة من الشعر الحر. ولد في الناصرية بالعراق في عام 1939م. تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الملك فيصل بالناصرية، وواصل تعليمه المتوسط بالناصرية. ثم التحق بأكاديمية الفنون الجميلة ببغداد، وحصل على إجازة جامعية منها. عمل بالتدريس والصحافة، والسلك الدبلوماسي. له مؤلفات قصصية كثيرة، وروايات تقارب العشرين رواية، كما أنه ألف شعرا وصادر دراسات. اهتم بالكتابة والصحافة، وظل الفن التشكيلي عنده كهواية. ركز في كتاباته على القصة ذات السمات العربية، محتذيا طريق أقرانه من الكتاب في ذلك الفترة.

³ عبد الحميد عبد المقصود 2003م، حكايات ألف ليلة وليلة، المؤسسة العربية الحديثة، لبنان، ص (2 - 16).
⁴ محمد عبد الرحمن يونس، 1995م، تأثير ألف ليلة وليلة في المسرح العربي المعاصر والحديث، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ص 43.

تأثر الربيعي بألف ليلة وليلة:

نكتفي في هذه الدراسة بتحليل بعض النماذج من الأشعار التي تخللت حكايات ألف ليلة وليلة. وتحليل بعض النماذج من أشعار عبد الرحمن مجيد الربيعي التي وردت في كتابه (شهر يار يبحر). ثم نحاول أن نثبت تأثير أشعار ألف ليلة وليلة في أشعار الربيعي. هذا التأثير من ناحية المعنى فقط لأن الربيعي قد عمد الى تأليف الشعر الحر بينما أشعار ألف ليلة وليلة قد التزمت بالوزن والقافية.

النموذج الأول:

من أشعار ألف ليلة وليلة:

بالله ضع قدميك فوق محاجري *

فلقد رضيت من الزمان بذاك

واعد حديثك لي فإن مسامعي *

تهوى حديثك مثل ما تهواك⁵

ويقول الربيعي في قصيدة بعنوان (إمراة):

يا باقة من الطيبة

تزين الصدور والدروب

يا فيئاً فوق هاماتنا المجهدة

نحن يراعم تحت شمسك الربيعية

انفخي فينا

⁵محسن مهدي، 1984م، ألف ليلة وليلة، بريل للنشر، ليدن، ص 707.

فنحن هياكل تجبو بلا رصيد ولا واعز

يهددنا السبخ والغبار

لن يطول السواد

نصفع الإنقباض

نقتل الإنقباض

نشهر البسمات⁶

التحليل (التأثير والتأثر):

أشعار ألف ليلة وليلة تعبر عن استسلام الحبيب لمعشوقه ، الى درجة رضاء الحبيب بوضع المحبوب رجله فوق محاجرته، وهذا يدل على تذلل الحبيب لمحبوبه. كما تعبر عن حب الحبيب لكل شيء من طرف المحبوب. وأيضا تعبر أشعار الربيعي عن التذلل للمحبوب، وذلك عندما ينادى محبوبه بقوله: "يا فيئاً فوق هاماتنا" فهذا دليل واضح على التذلل والاستسلام للمحبوب. وأيضا يعبر عن سعادته وسروره اذا حن المحبوب عليه. وهذا يعد دليلا قاطعا على تأثره بأشعار الف ليلة وليلة من ناحية المعنى.

النموذج الثاني:

من أشعار ألف ليلة وليلة:

أهل عندكم أخبار من قتل الهوى *

وسار بهم في الحب في كل مذهب⁷

ويقول الربيعي في قصيدة بعنوان (الشرك):

⁶عبد الرحمن مجيد الربيعي 1985م، شهريار يبحر، عالم الكتاب، بيروت، ص 45.

⁷محسن مهدي، مصدر سابق، ص 704.

يا للغمامة المقهورة!
لقد طوقت أهدابهم
مسيرتهم في شرك
كذلك اليتيم الذى كلل طفولتي
لم يتركوا آثاراً
حتى شفاهم أكلوها!⁸

التحليل (التأثير والتأثر):

أشعار ألف ليلة وليلة تعبر عن قسوة المحبوب الذى قتل الهوى، وتوه محبيه فى مفترق الطرقات وتركهم حائرين ، يسألون الناس عن أخباره. وأيضا تعبر أشعار الربيعي عن نفس المعنى. فيقول : ان الغمامة المقهورة التى تمر بسرعة نصبت شراكها لاحبابه، وضمتهم إليها وسارت بهم بسرعة الى مكان مجهول، فهى مثل اليتيم الذى يطوى مرحلة الطفولة بسرعة. وإن أحبابه قد ذهبوا ولم يتركوا أى أثر يروح عنه، بل إنهم أكلوا شفاهم أي إنهم لم يتركوا خلفهم أى أثر حتى الكلام الطيب قد بخلوا به. ونستنتج من ذلك تأثير أشعار ألف ليلة وليلة فى أشعار الربيعي من ناحية المعنى.

النموذج الثالث:

من أشعار ألف ليلة وليلة:

فرقت بيننا صروف الليالي *

ليت شعري متى يكون التلاق⁹

⁸عبد الرحمن الربيعي، مصدر سابق، ص 23.

ويقول الربيعي في قصيدة بعنوان (الخيبة الأخيرة):

الليل عاصفه سجينة

سحقت سنين ولا شت أصداء

وتلك الرغاب

اختفت في الحناجر

وأنا أتأهب للرحيل

على متن سفينة ممزقة الشراع

ملاحوها السكارى سقطوا في البحر

وفوق شفتيك

عشى الصغير الذي تهدم

تلوح سخرية¹⁰

التحليل (والتأثير والتأثر):

أشعار ألف ليلة وليلة تعبر عن عوائق الزمان التي تحول بين الحبيب ومحبوبه، وتجعله يتمنى قرب يوم اللقاء. وأيضا أشعار الربيعي تعبر عن نفس المعنى، فيقول: قد منعه الليل الطويل الذي يشبه العاصفة الساكنة من لقاء محبوبه. والليل هو من صروف الليالي أي عوائق الزمن التي وردت في أشعار ألف ليلة وليلة. ويقول الربيعي أيضا إن السفينة التي كان ينوى السفر عليها للحاق بمحبوبه، للأسف قد تمزق شراعها، وملاحوها السكارى قد غرقوا في البحر، وهذه أيضا من

⁹محسن مهدي، مصدر سابق، ص 703.

¹⁰عبد الرحمن مجيد الربيعي، مصدر سابق، ص (17، 18).

صروف الليالى. ويقول الربيعي ان عشه الصغير الذى بناه على شفاة المحبوب قد تهدم، لأن المحبوب قد نطق وقال: "لا أحبك" فتبعثر العش، وصار الوصل من الأمنيات الصعبة المنال. وهذا المعنى يشبه المعنى الذى عبرت عنه أشعار ألف ليلة وليلة بعبارة: "ليت شعري متى يكون التلاقي، أي ان اللقاء صار أمنية صعبة المنال. وبذلك يمكننا أن نثبت مدى قوة تأثير أشعار ألف ليلة وليلة في أشعار الربيعي من ناحية المعنى.

النموذج الرابع:

من أشعار ألف ليلة وليلة التى تعبر عن شدة الحب عند مفارقة الحبيب حتى صار حال الحبيب كالاتى:-

والقلب منقبض والفكر منبسط

العين ساهرة والجسم متعوب

والصبر منفصل والهجر متصل

والصدر محتبل والعقل مسلوب

وجملة الحال انى بعد بعدكم

فى كل ما انا شاك منه مغلوب

ويقول الشاعر عبد الرحمن مجيد الربيعي فى قصيدته بعنوان (الحرقة الدفينة):

أخرس

كلماتي إيماءات

أتشنج بجفاف

أدور ناسيا دربي

أكرع وجهها نشيدا خائباً

لن يجد صداه

فأضيع بين الحشود

أبعدت تهمي الفارغة

إنتشلت رأسي

لكني لا زلت أتشنج بجفاف

والحشود قربي راكدة

انتفضت كمقروور عاف صمته

أكاد أكون اليوم قطعة جليد

أتكتل وأكبر

دون أن أجد السخونة

التحليل (التأثير والتأثر):

أشعار ألف ليلة وليلة تعبر عن شدة الوله الحب والحرقه التي اصابت الحبيب عند غياب معشوقه، فقلبه اقبض، فكأنه تقوقف عن العمل، وفكره انبسط، فكأنه توقف عن التفكير، وعينه ساهرة الليالي لا ينام لأنه مشغول بحبيته، وجسمه متعب وصار ضعيفا ومتهالكًا، لأنه اصبح وحيدا، محبوبه بعيدا. ثم يقول هذا العاشق الوهان: ان صبره قد انفصل عنه، فصار بلا صبر، وهجر حبيبه له صار متصلا على الدوام، وصدرة صار مختبل فكأنه أصيب بالجنون، وعقله سلب منه، من الذي سلبه منه؟ بالطبع هو حبيبه. ثم يلخص هذا العاشق المختار حاله فيقول وجمله الحال إني قد صرت بعدكم مغلوب ومنكسر من كل شيء، فكل من يحاول ظلمي، ينتصر علي لأنني صرت ضعيفا، ومسلوب العقل.

وأیضا تعبر أشعار الربيعی عن نفس المعنى فهو يقول في قصيدته (الحرقه الدفينة):

إنه لم یحتمل شدة الحب، وغياب حبيبه، فصار أحرص، لا يستطيع الكلام وعندما یحاول أن يتكلم، يتكلم بلغة الإشارة فقط. وهو من شدة الحزن على فراق معشوقته أصبح يتشنج بجفاف، ویلف ویدور ناسياً دربه لأنه فقد عقله، فهذه المعاني تتطابق مع معاني أشعار ألف ليلة وليلة التي تعبر عن انقباض قلب العاشق الوهان، وسلب عقله، فهذا یرهن تأثر الشاعر الربيعي الواضح بمعاني أشعار ألف ليلة وليلة.

ویواصل الشاعر عبد الرحمن مجيد الربيعي سرده للآلام على لسان العاشق الوهان الذي یقول: "أكرع وجهها نشيدا خائبا" والكرع هو الشراب بجرعات كبيرة، ويشرب الماء مكرعا عندما يكون الشخص في حالة نفسية سيئة وهذا العاشق الوهان يكرع وجه معشوقته لأنه غاب عنه، فیصور ذلك البؤس في شكل نشيد خائب بائس لا جمال فيه ولا حلاوة ولا طراوة، بل انه نشيد جاف وغير مستساق.

ويواصل هذا العاشق الجنون تشاؤمه فيقول أنا أصرخ في إنشاد ذلك النشيد السخيف فلا أجد اذنا صاغية له، ولا يكون لصوتي صدى، فلا يرجع الصوت لي مرة أخرى وإنما يذهب ويضيع في زحمة الناس مثل ضياعي الذي سببه لي غياب معشوقتي.

ثم يعبر الشاعر عن محاولة لإبعاده لوهمه وتطاهره بأنه تعافى وعرف ان وهمه هذا فارغا ولا وجود له، ويحاول الشاعر أن يستيقظ من هذا الكابوس، فيجذب رأسه ويحركه بسرعة ليتحسس نفسه، ويعود الى صوابه، لكن هيهات انه لا يستطيع ان يخرج نفسه من حالة الجنون التي تملكته نتيجة لفقدانه أعز أحبائه. وأصبح حاله متخبطا هكذا، كلما يحاول ان يصحى من الإغماء يشعر بالتشنج الجاف الذي تعبر عنه أشعار ألف ليلة وليلة بالانقباض، وأيضا يشعر بأن مكانه صار زحمة لدرجة أنه لا يستطيع أن يلتقط أنفاسه، وكأنما هذه الزحمة مثل الماء الراكد الذي لا يتحرك أبدا، وكذلك حالته المزرية هذه لا تتغير أبدا وثابتة على هذا الكابوس الذي يملأ حياته. ويستمر الشاعر في المحاولة من الخروج من هذه الصدمة، فيحاول أن ينتفض مثل العصفور المقرور الذي كره سكونه وصمته. فينفض جناحيه للاستعداد للطيران والحركة. لكنه لا يستطيع هذا العاشق الوهّان ان يتخلص من همومه التي وهمته وكبلته، بل على العكس من ذلك فكلما حاول الانتفاض والحركة، تجمد أكثر وأكثر حتى صار كقطعة من جليد، تتكتل وتزيد مع مرور الوقت وتصبح أكبر وأكبر، فلا تجد الحرارة الكافية لاذابتها وتحويلها الى ما يجري ويتحرك، وإنما تتعرض هذه القطعة الجليدية للبرودة أكثر فأكثر، فيزداد حجمها أكبر وأكبر.

هكذا يصور الشاعر الربيعي هذا العاشق الوهّان، بأنه كلما مر عليه الوقت يزداد هممه وغمه فيتخدر ويتجمد، ولا يستطيع الحركة التي يرغب فيها.

وهكذا يتضح لنا بجلاء تأثير أشعار ألف ليلة وليلة في شعر الشاعر عبد الرحمن المجيد الربيعي.

البات أو المؤثر (المنتج الأسبق):

هو كتاب "هزار أفسانه"، الصادر باللغة الفارسية، قبل عام 943م". وهذا العنوان يعني بالعربية "ألف خرافة"، وأطلق عليه فيما بعد "ألف ليلة وليلة".

المتقبل أو المتأثر (المنتج اللاحق):

هم أدباء العرب في العصر الحديث وأسباب تأثرهم هي: رواج فكر القومية العربية في بدايات النصف الأخير من القرن الماضي وتبنيها من قبل الأدباء العرب، ففتشوا في تراث العرب القديم، وقاموا بإحيائه.

الوسطاء:

هم الرواة الذين نقلوا هذه القصص شفاهةً. بالإضافة إلى المخطوطات المصرية والشامية. وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة الذي طبع في فترات مختلفة، تفاصيلها كالاتي: طبع كتاب ألف ليلة وليلة لأول مرة باللغة العربية في كلكتا في الهند في عامي 1814م و 1818م. ونشره الشيخ أحمد بن محمود شيرواني اليماني. ثم طبع الكتاب في اوربا في مدينة باريس paris بين عامي (1824 - 1843). وطبع الكتاب في بولاق بمصر في عام 1835م، ونشره عبد الرحمن الصفتي الشرقاوي. وطبع هذا الكتاب في كلكتا مرة أخرى بين عامي (1839م - 1842م)¹¹.

وهكذا قد تأكد بما لا يدعو مجالا للشك تأثر الشعراء العرب المحدثين بحكايات ألف ليلة وليلة المتأثرة بالأدب الفارسي القديم. ولا يخفى على أحد أهمية هذه المقارنة في عملية التعليم والتعلم، فكلما أكثر الباحث من الاهتمام بالأدب المقارن سيزداد تمكنا من الإبحار في الآداب العربية والأجنبية، ويزداد رصيده من العلم والثقافة.

¹¹محسن المهدي، 1984م، مصدر سابق، ألف ليلة وليلة، ص (14-20).

المصادر والمراجع

- سلوم داود، 1998م، من آفاق الأدب المقارن، المفرق، الأردن.
- يونس محمد عبد الرحمن ، 1995م، تأثير ألف ليلة وليلة في المسرح العربي المعاصر والحديث، دار الكنوز الأريية، بيروت.
- عبد المقصود عبد الحميد، 2003م، حكايات ألف ليلة وليلة، المؤسسة العربية الحديثة، لبنان.
- الربيعي عبد الرحمن مجيد، 1985م، شهر يار يبحر، عالم الكتاب، بيروت.
- المهدي محسن ، 1984م، ألف ليلة وليلة، بريد للنشر، لندن.

<http://ar.wikipedia.org>

